اللغة العامّة

ما زالت الحاجة تدفع ارباب العلم حيناً بعد حين الى وضع لغةٍ عامّة تتفاهم بها أجيال البشر على اختلاف مواطنها بحيث يكون الانسان انَّى توجه وحيثما نزل ترجمان نفسهِ على ما هو حق النطق الذي اودعهُ الخالق عزّ وجلّ هذه الجارحة اللسانية . ولا يخفى ان هذا الغرض لا تصلح لهُ احدى اللغات المتعارَفة لما رُكّب في طبع البشر من المنافسة والأَثَرة بحيث يتعذر اجتماعهم على تفضيل واحدةٍ منها وتواطؤهم على ايثارها دون سواها . أَجَلْ لا يُنكَر ان بعض اللغات قد استفاض استعمالها بين كثير من أمم الارض ومنها ما بلغ عدد الذين يتكلمون بها اضعاف عدد ذويها كما هو الحال اليوم في اللغة الفرنسوية واللغة الانكليزية مثلاً الاَّ ان ذلك تابع لنفوذ اصحاب تلك اللغة وارتفاع مكانهم في العلم والصناعة وانتشار تجارتهم وفتوحهم في الآفاق البعيدة . وهو انما ينحصر في الحدود التي بلغ اليها ذلك النفوذ ويبقى فيها مع بقآئهِ فاذا ضَعُفَ أو تحوّل الى أمةٍ أخرى تبعتهُ اللغة جرياً في الامرين على سُنَّة تنازع البقآء

وهناك أمرٌ آخر وهو ما في تعميم احدى هذه اللغات من الصعوبة لان كل لغة من اللغات المعروفة لا تُملَك الاّ بعد عنآء جزيل ومراسٍ طويل لانها بأسرها من بنات الاتفاق ومواليد الزمن على حدّ سائر الاعمال التي تتم مع الايام ويتعاقب عليها الكثيرون من العمّال على غير تواطؤٍ ولا سبق تقدير فتأتي في كثير من احوالها على غير ما تسوق اليهِ البداهة

ويقتضيهِ النظر والقياس . وذلك مع كون متعلم هذه اللغة انما يبتغيها لتكون لغةً اضافية يستخدمها عند الاقتضاآء بعد ان يستولي على أحكام لغتهِ الخاصة وفي ذلك ما لا يَسَعهُ طوق كل أحد . ولذا كان من همّ القوم ان يضعوا لغةً مطّردة القياس سهلة المنال قليلة القواعد يتمكن كل طالبٍ من تناولها على غير كدّ ذهن ولا عناآء كبير

قيل وأول من شرع في وضع شيء من هذا القبيل هو الشيخ محيي الدين ابن العربي من أهل القرن السادس للهجرة فانهُ وضع لغةً خاصة باستعمال المتصوّفة أخذ الفاظها من العربية والفارسية والعبرية وسماها بَلَيْبَلان (كذا) ذكر ذلك ليون ڤاييس احد علماآء المشرقيات من الفرنسيس قال ومعنى بَلَيْبَلان لغة المحيي (langue de ce qui vivific) اي لغة محيي الدين ولكن لم يتصل بنا شيء من هذه اللغة ولا رأينا لها ذكراً في كتب العرب

واما في العصور المتأخرة فقد عُني بهذا الامر عدّةٌ من العلماآء منهم باكُون احد فلاسفة الفرنسيس من أهل القرن السادس عشر ثم دِيكَرْت ولَيْبِنِس وبِشْر وهو اول من وضع في ذلك كتاباً استقرى فيهِ المعاني فوضع بازاآء كل معنى اللفظ الدالّ عليهِ ووضع احكام الصيغ الصرفية والتركيبية . ثم تلاهُ في ذلك وِلكِنس اسقف شِسْتَر وحذا حذوهما كثيرون ممن جاآء بعدهما فتفننوا في الوضع على انحاآء مختلفة وأغرب ما جاآء في ذلك ما رُوِي عن بِسَلْمَنَزار الرحّالة الفرنسويّ الشهير من أهل القرن الثامن عشر فانهُ لفّق لغةً زعم انها لغة أهل فُرموزا من الجزائر الصينية وكان يزعم انهُ هو من اهلها أيضاً الاّ ان كل ذلك لم يصادف اقبالاً من الجمهور

وجآء بعد ذلك الدكتور شلَيَر من أهل المانيا وهو من اكابر اللغويين يحسن فيما ذكروا ستًّا وخمسين لغةً فعانى وضع لغةٍ من مثل ذلك اختار كلماتها من لغات اوربا ونشر كتابهُ سنة ١٨٧٩ بعد أن قضى في تأليفهِ عشرين سنةً وسمى تلك اللغة بالڤُولاپوك وهي لفظةٌ من أوضاع هذه اللغة عينها معناها اللغة الجامعة . فانتشرت في أول الامر بين الخاصة ولاسيما في ألمانيا وما يليها من اواسط اوربا وأُلِّفت لها ندوةٌ علمية وعُقِدت فيها مؤتمرات كان التخاطب فيها بهذه اللغة ونُشرت بها عدة جرائد ولكنهُ لم يأتِ آخر القرن حتى كانت قد أُهملت بتَّةً

وفي اثناء ذلك كان الدكتور زامنَهُوف من اهل ڤرسوڤيا يشتغل بوضع لغةٍ اخرى فقضى في ذلك اثنتي عشرة سنةً ثم نشر رسالةً عرض فيها اصول تلك اللغة وجعل عنوان رسالتهِ « دكتورو اسپرَنتو » اي الاستاذ المؤمّل وذلك ان العلمآء كانوا قد يئسوا من وضع لغة من هذا القبيل فلزم لغتهُ هذا اللفظ وسميت بالاسپرَنتو . وهي تتألف من ٣٢٠٠ مادّة اقتبسها من جميع لغات اوربا بحيث اختار لكل معنًى اسلس الفاظ تلك اللغات او اكثرها شيوعاً وألحق بها ثلاثين لفظة دائرة تركَّب مع سائر الفاظها فيُدَلّ بها على تفرُّع المعاني الوضعية وسبع عشرة زيادةً صِيغيّة تدل على المعاني التصريفية فصار بذلك يمكن ان يركَّب منها عشرة ملايين من الكلمات

وقد اشتهرت هذه اللغة واقبل القوم عليها لبساطة وضعها وسهولة تناولها فانتشرت في روسيا والنمسا والمانيا وفرنسا وقد طُبع مؤلَّف زامنهوف فيها في ثماني عشرة لغةً وتُرجِم اليها ما يزيد على مئة وخمسين مؤلَّفاً منها

منظومات هوميروس وڤِرجيل وشكسپير وجُوتي وبُومَرشاي وغيرها والمتكلمون بها الآن يبلغون نحو مئة الف منهم نحو عشرة آلاف في فرنسا. وقد عُرض في معرض سان لويس عدة صُحُف ومؤلفات بهذه اللغة منها ٢٥٠ مؤلفاً واكثر من ٣٠٠٠ بطاقة بريد و٢٠ جريدة مطبوعة في بلدانٍ شتى . وعُقد لها في شهر اوغسطس من سنة ١٩٠٤ مؤتمر اجتمع اعضاؤهُ من كل بلد فلبثوا في اجتماعهم يومين وافاضوا في مباحث شتى وكان كلامهم جميعهُ بالاسپرَنتو

اما اقتباس هذه اللغة فهو من السهولة بحيث يقضي بالعجب ومن غريب ما رُوي في ذلك ان كاتب جريدةٍ في اودسّا كان يروم تعلمها واتفق ان سائحين من اسوج قدما تلك البلدة وكانا قد ألزما أنفسهما ان لا يتكلما الا بالاسپرَنتو فقصدهما وابتاع منهما كتاباً في اصول هذه اللغة ثم اقبل يتصفحهُ فما انقضى ذلك النهار وجاء الليل حتى عاد الى السائحين واخذ يحادثهما باللغة نفسها. ولا ريب ان لغةً هذا مبلغ سهولتها لا يمضي زمن حتى يعمّ استعمالها جميع البلاد المتمدنة لكن الاظهر ان هذه السهولة انما هي بالقياس الى المتكلمين باللغات الاوربية لانها مأخوذة منها فهي مجانسةٌ لها في الكثير من الفاظها . ولكن مهما يكن من ذلك فلا شك ان قواعدها في منتهى البساطة واللغة اذا مُلِكت قواعدها وسَهُلَ فهم معانيها الاشتقاقية والتركيبية فلا يبقى لتفهُّم المعاني الوضعية الا ان يكون لها في حوزة المطالع مُعجَم يكشف عن معاني مفرداتها ثم الامر بعد ذلك لقوّة الذاكرة ومقدار الممارسة والاستظهار

التخدير بالنور الازرق

نشر الدكتور كَرْتاز احد مشاهير اطباء الفرنسيس فصلاً في بعض المجلات العلمية شرح فيهِ بيان تأثير النور الازرق على المراكز العصبية فآثرنا تعريبهُ لما فيهِ من الفائدة العملية قال

قد اصبح للنور والكهربائية في هذه الايام شأنٌ مهمّ في معالجة الامراض اذ قد ثبت ان لاشعّة النور تأثيراً على البنية يختلف تبعاً للونها فان النور الاحمر مهيّج وبعكسهِ الاصفر فانهُ يبعث الانكسار والكمد وبينهما الازرق فانهُ يورث السكينة والارتياح وهي الالوان الاصلية في الطيف

وقد ارتأى الدكتور رُدار احد اطباء سويسرا ان يستخدم هذه الخصائص في الاعمال الجراحية فرفع الى مؤتمر طبّ الاسنان الذي عُقِد في هذه المملكة سنة ١٩٠٤ تقريراً ذكر فيهِ انهُ وجد الاشعة الزرقاء تؤثر على المراكز العصبية تأثيراً يتوقف معهُ الحسّ الى حدّ ان يُتمكن من اجراء بعض الاعمال الجراحية التي يمكن ان تتمّ في مدةٍ قصيرة

ولا ريب ان هذه الطريقة في التخدير الموضعي تفضل كل طريقةٍ عُرِفت قبلها حتى التي لا اذى فيها البتة لانهُ لا يُدخَل فيها على البنية شيءٌ من الموادّ الدوائية . واما اجراؤها فيتمّ بأن يُجلَس العليل على كرسيٍّ ويُجعَل امامهُ مصباح شديد الضياء بقوّة ١٥ شمعة تكون زجاجتهُ زرقاء وفوقهُ عاكسٌ مطليٌّ بالنِكل ويُجعَل بينهُ وبين المصباح نحو خمسة عشر

سنتيمتراً ويغطّى رأسهُ بقناع ازرق خفيف . وبعد ان يُنفَى عنهُ كل خوفٍ من هذه الطريقة يؤمر بأن يثبت نظرهُ في المصباح فلا تمرّ عليهِ دقيقتان او ثلاث حتى يأخذهُ ضربٌ من الذهول فيُرفَع عنهُ القناع ويُنظَر الى الحدقة ليُتحقَّق تمددها واذ ذاك يكون نظرهُ جامداً . وفي هذه الحال اذا كان لهُ ضرسٌ يراد قلعهُ او أُريد ان يُجرَى لهُ عملٌ آخر بشرط ان يكون سريع الاجرآء امكن ان يتمّ بدون ان يشعر بأقلّ ألم

وقد امتحن هذه الطريقة اطبآء آخرون منهم الدكتور ملِيّار فانهُ استخدمها في معالجة اثنين وثلاثين عليلاً فنجحت في عشرين منها تمام النجاح طِبقاً لما ذكرهُ الدكتور رُدار واما الباقون فان ثمانيـة منهم لم يتأتَّ لهُ تخديرهم اصلاً والاربعة الآخرين شعروا بآلام خفيفة . وفي رأي الدكتور رُدار ان عدم قبول التخدير يكون سببهُ سبق تخوُّف العليل من اجرآء تلك الطريقة عليهِ بحيث يتهيج عصبهُ حتى يمتنع تخدُّرهُ . واما نوع هذا الخَدَر فقد تبين انهُ لا يتعدى الاعصاب الجمجمية وخصوصاً العصب الثُلاثيّ الوجهيّ بحيث اذا قُرصت اليد او الرجل او دُغدِغت شعرَ العليل بذلك شعوراً تاماً وهذا مما يدلّ على انهُ خَدَرٌ موضعي لا ضربٌ من التنويم المعروف . اه

حق تملك الاجانب للاراضي العثمانية

(تتمة ما في الجزء السابق)

قانون صادر باعطآء الاجانب حق ملكية العقارات في الممالك العثمانية في ٧ صفر سنة ١٢٨٤ — ١٠ يونيو سنة ١٨٦٧

البند الاول

قد رُخّص للاجانب أن يتمتعوا بحقوق ملكية العقارات في داخل المدن وخارجها في جميع اراضي الممالك العثمانية ما عدا اقاليم الحجاز اسوةً برعايا الدولة وبدون شرط آخر وعليهم الانقياد للقوانين واللوائح الجارية في حق الرعايا العثمانية أنفسهم كما سيذكر . ويُستثنَى من ذلك من كان في الاصل من تبعة الدولة العلية ثم بدّل تابعيتهُ فانهُ يجري في حقهِ احكام قانون مخصوص

البند الثاني

بمقتضى احكام البند الاول يُعتبَر الاجانب ذوو العقارات في داخل المدن وخارجها كتبعة الدولة العلية في كافة ما يتعلق بعقاراتهم . واعتبارهم بهذه الصفة يترتب عليهِ (اولاً) الزامهم الجري على مقتضى جميع القوانين ولوائح الضبط والربط واللوائح البلدية الجارية الآن او التي ستجري في المستقبل فيما يتعلق بحق التصرف في الاملاك العقارية وانتقالها وبيعها ورهنها . (ثانياً) قيامهم بجميع التكليفات والاموال المربوطة أو التي يمكن ربطها على العقارات الداخلة والخارجة بأي وجهٍ واي عنوانٍ كان . (ثالثاً) ان يُجعلوا مباشرةً تحت سلطة اختصاص المجالس المدنيـة العثمانية في كافة المسائل الخاصة بملكية العقارات وفي جميع قضايا الحقوق العينية سوآء كانوا بصفة مدَّعين او مُدَّعًى عليهم وسوآء كان احد الخصمين عثمانياً او كانا كلاهما من رعايا الدول الاجنبية . وكل ذلك بالصفة والشروط والاوجه الجارية في حق اصحاب الاملاك من تبعة الدولة العثمانية بدون ان يكون

لتابعيتهم المتصفين بها دخل في ذلك وانما يجب مراعاة الامتيازات المتعلقة بذوات اشخاصهم وبمنقولاتهم وفقاً للمعاهدات

البند الثالث

اذا افلس اجنبيٌّ من ذوي العقارات يتعين على وكلاء افلاسهِ ان يعرضوا الامر لحكومة الدولة العثمانية ومجالسها المدنية ويطلبوا منها بيع ما يمتلكهُ من العقارات الجائز شرعاً وفاء الديون التي على المالك منها . وكذا عند ما يصدر حكم من مجالس الدول الاجنبية لاجنبي على اجنبي آخر من ارباب العقارات فانهُ ينبغي الجري على الكيفية نفسها . ولاجل تنفيذ الحكم على عقارات المديون يجب على المحكوم لهُ ان يرفع الامر الى جهة الاختصاص من حكومة الدولة العثمانية للحصول على بيع ما يجوز بيعهُ من العقارات في نظير الديون التي على المالك بحيث لا ينفذ الحكم المذكور على ايدي محاكم الدولة العلية وجهاتها الا بعد ان يتضح لها حقيقةً ان العقارات المطلوب بيعها هي من النوع الجائز عليهِ البيع لسداد الدين

البند الرابع

يسوغ للاجنبي ان يتصرف بالهبة والوصاية فيما لهُ من العقارات متى كان التصرف فيها على هذا الوجه جائزاً شرعاً اما العقارات التي لم يكن قد تصرف فيها بأحد الامرين او التي لا تجوّز لهُ الشريعة التصرف فيها بالهبة او الوصاية فيكون الفصل في توريثها على مقتضى القانون العثماني

البند الخامس

كل شخصٍ من رعايا الدول الاجنبية لهُ حق التمتع بفوائد هذا

القانون بعد ان تُوقَف الدولة التي هو من تبعتها على الاتفاقات التي حصل القرار عليها من قبل الدولة العلية فيما يختص بحقوق التمليك . انتهى

اما مصر فقد كان حق التملك العقاري فيها مباحاً للاجانب قبل الخط الهمايوني المشار اليهِ اباحهُ محمد علي باشا رأس الأُسرة الخديوية لاسبابٍ دعتهُ اليـهِ وقد رأى لهُ مسوغاً من اتساع سلطتهِ في حكم الديار المصرية وانطلاق يدهِ في ملكية اراضيها اذ لم يكن يهمّ الدولة العثمانية منهُ فيما يتعلق بالاراضي الاَّ خراجٌ سنوي معيَّن المقدار كما تقرر ذلك في فرمان مايو سنة ١٨٤١ . وسهَّل لهُ ذلك كون اراضي مصر خراجية وقتئذٍ اعني مما لا تملك رقبتـهُ بل منفعتهُ فقط وتبقى الرقبة ملك الحكومة . على انهُ لم يكتفِ بمساواة الاجانب بالوطنيين في تمليكهم حق المنفعة فقط بل ساواهم ايضاً فيما كان ينعم بهِ على بعض الاهالي من الاطيان المعروفة بالابعاديات التي كان حق الملك فيها تاماً

والغرض الذي كان يرمي اليـهِ محمد علي باشا في هذا التساهل مع الاجانب هو رغبتهُ في عمران الديار المصرية وترقيها بعد ذلك الدمار الذي كان مستولياً عليها في عهد الحكومات السابقة اذ كان يرى الاجانب اقدر من الوطنيين على ذلك . وهنالك سبب آخر هو رغبتهُ في موادّة دول اوربا وادّخار صداقتها لحين الحاجة وما من واسطة اقوى على نيل ذلك الارب من تسهيل موارد الرزق لرعاياها في مصر

وقد سار خلفآؤهُ من بعدهِ على هذا الطريق وفي مقدمتهم سعيد باشا الذي وضع القانون الاول للاراضي المصرية المعروف باللائحة السعيدية

في ٢٤ ذي الحجة سنة ١٢٧٤ (٥ اوغسطس سنة ١٨٥٨) فلم يفرق فيهِ بين الاجنبي والوطني في شيء

وزاد ذلك صراحةً امرٌ عالٍ اصدرهُ بتاريخ ١٩ ربيع الثاني سنة ١٢٧٧ (٤ نوفمبر سنة ١٨٦٠) هذا نصهُ « يجوز للاوربيين بناء وابورات حليج القطن في اطيان المزارع التي يحوزون منفعتها من الاهالي انما تكون تلك الوابورات خارجة عن بناء مساكن القرى ويشترط عليهم معاملتهم فيما يختص بها اسوة الاهالي رعايا الحكومة » اه

وظاهر ان تاريخ هذا الامر العالي سابق لتاريخ الخط الهمايوني المذكور آنفاً وبهذا وضح ان البلاد المصرية كانت فيما يتعلق بحقوق تملك الاجانب منفردةً عن احكام سائر الاراضي العثمانية اما في وقتنا الحاضر فقد اصبح للاجنبي حق التملك في البلاد العثمانية كما هو في البلاد المصرية الا ما استُثنِي من ذلك وهو اراضي الحجاز

ابرهيم الجمّال

حديقة السوسن

(عَوْدٌ على ما في مجلد السنة السابعة)

— ١٠ —

ان العلم لبث في القرون الوسطى [١] محتبساً في الاديار والصوامع مطَّرَحاً في زوايا الاهمال والخمول محجوباً عن ابصار العامة لا تنال منهُ

(١) يقسم المؤرخون ازمنة التاريخ الى اربعة اقسام كبرى الاول التاريخ القديم وهو يشمل الازمنة القديمة منذ الخليقة حتى انقراض السلطنة الرومانية الغربية سنة ٤٧٦ م ٠ والثاني تاريخ القرون الوسطى التي يسمونها العصور المظلمة وهي تبتدئ

سوى ما يرى الرهبان من مصلحتهم القآءه عليها. فلما انتشرت الطباعة التي اخترعها في القرن الخامس عشر كلٌ من يوحنا غوتنبرغ ويوحنا فوست الجرمانيين وتداولت الايدي هذه الصناعة في المانيا وغيرها من اصقاع اوربا تنبهت الخواطر الى تلك الكنوز المدفونة طي الاسفار الخطيــة المركومة تلالاً في اكناف الاديار والمعابد فتعممت بالطبع والنشر وهبَّت الافكار من رقدة الجهـالة فأقبلت على العلم اقبال المحب المشوق الى ديار الحبيب ونهل الواردون منها نهلة من تاه آونة الهجير في مفازة معطشة حتى اذا الهبهُ الظمـأ واخذ بخناقهِ القيظ اصاب ينبوعاً وارف الظلال عذب الزلال فاستنارت البصائر بعد ظلمتها الدامسة ونهضت المدارك بعد سقطتها الهائلة وبحث المحققون فيما ترك الاقدمون من ذخائر العلوم والفنون وبجدّهم المتدارك ميّزوا بين غثها وسمينها وفرقوا بين صحيحها وفاسدها. ثم جزموا بكروية الارض مما كان باعثاً على اكتشاف نصف الكرة الغربيّ المعروف بالعالم الجديد واحيوا رسوم الفلسفة الطبيعية بعد اندراسها ونقلوها من وضعها المبني على قواعد اساسها الحدس والظن والافتراض ونتيجتها الوهم والاباطيل الى حالة تؤدي الى استجلآء الحقائق من طريق البحث والاستقرآء فأصبح ارباب العلم لا يجزمون برأيٍ ولا يقطعون بأمرٍ قبل ان

سنة ٤٧٦ وتنتهي سنة ١٤٥٣ وهي سنة افتتاح الاتراك للقسطنطينية ٠ والثالث من سنة ١٤٥٣ الى نشوب الثورة الفرنسوية سنة ١٧٨٩ ٠ والرابع من ذلك العهد الى يومنا هذا وهو يشمل ازهى ازمنة الاكتشافات العلمية الطبيعية وظهور الالفة والحريّة مظهرها الحاضر

يعزّز بالبراهين الحسّية البالغة حد الاقناع . ثم افضى بهم هذا المسلك الى البحث عن باطن الارض وطبقاتها ولما استشفوا ما وراءهُ من جليل الفائدة وضعوا لهُ علماً خاصاً بهِ يُعرَف بالجيولوجيا واوصلهم البحث في هذه الطبقات الى الجزم بان الانسان اقدم من الاعصر التاريخية بدهورٍ طويلة وذلك من استقراء الاحافير المكتشفة ولا سيما في اراضي بلجيكا وفرنسا . ومن ثَمَّ اخذوا ينقبون عن تاريخهِ الطبيعي من حيث كونهُ حيواناً وجعلوا هذا البحث علماً برأسهِ سموهُ انتروبولوجيا . وبهذا العلم توصلوا ايضاً الى درس طبائعهِ واحوالهِ بحسب ادوار ترقيهِ العمرانيّ والادبي فوضح لهم عند ذلك ان الرجل كان في ضلالٍ بعيد اذ انزل المرأة حال انتقالهِ من طور همجيتّهِ الاولى الى ندحة الحضارة منزلة آلةٍ لا شريكة ومحكومةٍ لا مستقلة واسيرةٍ لا حُرّة . وجزموا بان هذا الوضع المخالف للطبيعة طوَّر المرأة بغير اطوارها الفطرية وكيَّف اخلاقها تكييفاً سُلب معهُ إخلاصها الحقيقيّ للرجل وحلَّ محلهُ الحقد الناشئ عما اصابها اطّراداً وتباعاً من الإساءة والاعنات والتحكم حتى اصبحت ـ ولا تزال ـ في سرها وجهرها دائمة الانين من عسف الرجل مجروحة الفؤاد لما نالها من انحطاط القدر في المجتمع القوميّ والمنزلي مبتئسةً ابداً لتمادي احتباسها والضغط عليها حسّاً ومعنًى فضلاً عما ترتب على ذلك من ظلمة المدارك وضعف النفس وضيق الاختبار وعجزها بالتالي عن مماشاة رفيقها وشريك حياتها في صحة الاستنتاج والحكم حتى اصبح الرجال يقولون « ان الرجل يحكم بعقلهِ والمرأة تحكم بعواطفها » فتعذّر والحالة على ما وصفنا الهناء البيتيّ وتشوهت محاسن الاجتماع

الانسانيّ بما خامر قلوب افراد النوعين من التباين والتغاير الموجبين لدوام التغابن والتهاتر فكان ما كان من نغص العِشرة المبني على عدم التناسب في التربية عقلاً وحيثيةً

عند ئذٍ استفاقوا من سباتٍ عميق مرّ عليهِ زمنٌ سحيق فنشطوا لاصلاح ما أفسد آباؤهم ونهضوا لتلافي خللٍ تطرق الى حياة الانسان منذ دخل في دور العمران فاخذ النابغون من كتبتهم وخطبآئهم يوضحون باقلامهم ويفصحون على منابرهم ويصدعون في أنديتهم ومحافلهم بوجوب العود عن خطتهم السالفة وانتهاج خطة يسيرون عليها سيراً تدريجياً يبلغ بهم مع تراخي الازمنة الى إنالة المرأة حقها الادبي وانزالها منزلتها الطبيعية بعد تقويم أَوَدها باطلاق حرية التعليم لها اصلاحاً لخطاٍ عمّ الجنس البشري بلآؤهُ فادخل في معنويّات وجودهِ سمّاً ناقعاً

ولما سرت ثورة الخواطر المتنبهة لهذا الموضوع الجليل المهم اخذوا يبيحون للاناث بدآءة ذي بدءٍ حرية التعليم الابتدآئي ثم تدرجوا الى اعطآئهنّ مقاسمة الرجال الرأي والتفاوض في بسائط الامور الادارية والمنزلية ثم شاركنَهم في المجتمعات والضيافات وحضور اندية التمثيل ثم اجازوا لهنّ بعد زمنٍ حقّ التقدم عليهم في الجلوس والسير ارضآء لإحساسهنّ اللطيف وتسريراً لافئدتهنّ الشفافة وتوسعوا في تعليمهنّ العلوم العالية حتى الفلك والهندسة والكيميآء بعد أن تُرِكَ للفتَيات بعض الترك حق اختيار الازواج (١) وهكذا كان الرجال يشعرون شيئاً فشيئاً بما ورآء هذا الاطلاق

(١) قال العلامة الفريد ولص الانكليزي ان النظام الحالي يأول الى زيادة

والتساهل من الفائدة والنفع فيسترسلون في تجاوزهم وتسامحهم وتخفيف وطأة ذلك الضغط القديم الذي شدَّ ما بهظ عواتق النسآء في العصور الخوالي. وما برح الامر كذلك حتى ثارت الفتنة الفرنسوية في أواخر القرن الثامن عشر فادَّت الى رفعهنَّ هوَجاً وجنوناً الى مقام المعبودات على أثر الانقلاب العظيم الذي طرأ على افكار تلك الامة باغرآء ڤولتير وروسو وأمثالهما من متطرفي ذلك العصر بعد أن قتلت الملوك والرؤسآء والغت الديانات والإقطاعات وهدمت العروش والامتيازات تاركةً زمام الامة بيد الامة على المبدإ الديموقراطي الشائع اليوم في كثير من الممالك الاوربية والاميركية

عند ذلك بلغت المرأة أَوج مجدها في تلك الامة السريعة التهيج والانفعال المطبوعة على حب الانقلابات الموصوفة بالنزَق وعدم الثبات على حالٍ من الاحوال ومن فرنسا سرى روح إعظام المرأة الى غيرها من سائر الاقاليم الغربية ولكن على خطةٍ اكثر اعتدالاً وادنى الى القاعدة المثلى. فما اقبل الربع الثاني من القرن التاسع عشر حتى اصبحت المرأة في كل اوربا الغربية والشمالية وبعض الجنوبية والشرقية مالكةً زمام نفسها رئيسة منزلها ومديرة التعليم والتربية الابتدآئيين لبنيها مشاركة رجلها رأياً ومفاوضةً في جهاد الحياة وشؤون المعاش والبحث في سياسات البلاد

الاهتمام بتعليم النسآء وهنَّ متى تعلمنَ صار لهنَّ كلمة في اختيار ازواجهنَّ فيفضلنَ الحاذق على الغبي والقوي على الضعيف والعالم على الجاهل . وهذا من اقوى وسائط الانتخاب المؤدي الى الارتقآء

واحتياجات الوطن سائدةً حلقات السَمَر والأُلفة في المعاشرات لها حرية القول والمناظرة والتعلم والتصرف في وجدانها حسبما يوحي اليها ضميرها ويلقنها فؤادها بلا حرجٍ ولا تقيدٌ (١) (ستأتي البقية)

سليم عنحوري

اطالة الحياة

لا ريب ان تفكير الانسان في اتقآء الموت وتأجيلهِ وفيما يُتوقع بعدهُ امرٌ قديم العهد جدًّا ولعلهُ يرجع الى اوائل عهد الانسان . وذلك ان اول ما يخطر للعاقل من هذا القبيل ان يفكر ماذا يطرأ عليهِ بعد الموت ويتمنى ان يحيا بعدهُ حياةً افضل او ان تطول حياتهُ الحاضرة او تستمرّ على

(١) قال العلامة جفن الاميركاني في خطبة تلاها في جمعية اتحاد الشبان في القاهرة ما نصهُ « ولد القرن التاسع عشر وكانت منزلة النسآء في اعين الرجال لا تفضل كثيراً منزلة الامآء والعبيد بل تقلُّ عنها كان الحق عزَّ وجلّ لم يخلقهنَّ الا لخدمتهم وهاك مثال بعض ما كان يعلن في الجرائد الانكليزية اذ ذاك

» قالت مجلة هود في عددها الصادر في شهر سبتمبر سنة ١٨١٤ « عُرضت امرأة جميلة الصورة رشيقة القوام وهي زوجة جون هول بعد اقترانهِ بشهر و بيعت بالمزاد العام بمبلغ شلنين ونصف و بيع المقوَد الذي قِيدَت بهِ بنصف شلن »

» وقد حسب بعضهم سنة ١٨١٥ ان عدد الزوجات اللواتي عُرضنَ للبيع كالمواشي في جهةٍ واحدة من بلاد الانكليز خلال سنةٍ واحدة فكنّ تسعاً وثلاثين امرأة

» اما الآن وقد ناهز القرن الختام فاننا نفتخر بان والداتنا واخواتنا لهنّ الشأن الاكبر والاكرام الاوفر في نظام المجتمع الانساني والمقام الاعلى في تثقيف عقول الصغار وتزيين حياة الشبيبة وتوطيد دعائم العمران » اه

الدوام · ولا بد ان يكون القدمآء قد بحثوا في هذا الموضوع مباحث مختلفة ولكن لم يتصل بنا منها ما يستحق الذكر لانها على ما نظن مبنية على التخرصات والأوهام · على ان اهل العلم في الحالة الحاضرة يبحثون في هذا الامر بحثاً علمياً مسنداً الى حقائق مقرَّرة وقد قرأنا من ابحاثهم هذه مقالة لاحد مشاهير الكتاب الانكليز احببنا تلخيصها لما فيها من الآرآء الجديدة في شأن اطالة الحياة قال

اول ما يجب اعتباره في هذا البحث ان الاحصآءات الدقيقة تثبت ان الذين عاشوا نحو مئة عام معظمهم من الاناث وان اكثرهنَّ كنَّ من الخاضعات لسلطان التدخين كما ان عدداً عديداً من الرجال الذين ناهزوا المئة من العمر كانوا من عاشقي التبغ ايضاً · وهو امرٌ ولا ريب يدهش له الذين انقطعوا عن التدخين طمعاً في اطالة حياتهم ولكن هذا هو الواقع كما سنذكر بعض شواهده

فمن جملة النسآء اللواتي عُمِّرنَ طويلاً سارا ثوماس التي كان يدفع لها البرنس اوف ويلس شلناً عن كل سنة من سني حياتها وقد بلغ عددها ١٠٧ وظهر من البحث عن اسلوب معيشتها انها كانت مولعة اشد الولوع بالغليون تحشوه من احدّ اصناف التبغ · ومنهنَّ ايزابلاّ فلاّ المكسيكية الموطن وقد انتقلت الى كاليفورنيا سنة ١٨٩٨ في الثالثة بعد المئة من حياتها · وقد تحقق بعض الاطبآء انها ابتدأت تشرب الدخان وهي بنت عشر سنوات وكانت اذا لم تدخن تشعر بقلق وباضطراب عصبي · ومنهنّ ماريّا فوستر احدى الممرّضات في احد مستشفيات كاليفورنيا بلغ عمرها

١٠٦ سنين وكانت تعمد الى غليونها كل ساعتين مرة

وغرض الكاتب من الاستشهاد بهؤلآء النسآء ان يثبت ان التدخين وحدهُ لايكفي ان يكون سبباً لقصر العمر اذا وُجدت الوسائل الاساسية لاطالتهِ

و بعد الاستقرآءات العديدة رجح ان اسباب اطالة الحياة تختلف بين المرأة والرجل وان لكلٍّ منهما قواعد خاصة بجنسهِ • ولكن الملاحظة العامة التي تصدق على كلا الجنسين ان الذين تجاوزوا المئة من العمر كانوا من الفقرآء الذين عاشوا عيشة بسيطة وكانوا يعملون في الهوآء الطلق النقي • ولنوع الطعام تأثير مهم في اطالة العمر فقد اكَّد العلمآء بالبراهين العلمية انهُ اذا اعتُنِي حق العناية بانتخاب الاغذية الملائمة امكن ان يطول حبل العمر حتى يبلغ ٣٠٠ عام (كذا)

والمقرَّر في اصول الطب الحديث ان الشيخوخة تعاجل الانسان بسبب تصلُّب عظامهِ السريع • وقد قال الدكتور كِنَر احد مشاهير اطبآء لندن «ان الشيخوخة ناجمة عن رسوب المواد الترابية في مركَّبات اجسامنا ككربونات الكلس وفوصفاتهِ ممزوجةً بمواد اخرى • ففي ايام الحداثة تمر هذه المواد في الجهاز الهضمي الى الدم وتنصرف منهُ مع البول وسائر المفرزات ولكن في ايام الرجولية يجتمع جانب كبير منها في النسيج العظمي»

فترى ان رأي هذا الطبيب في طول الحياة مبنيٌّ على المبادئ العلمية الحديثة التي هي الآن من الامور المسلَّمة • وقد أيدها المشرّح الفرنساوي الشهير الدكتور دشمبر اذ برهن في تحقيقاتهِ واستقرآءاتهِ الجمة ان الموت

ينجم ابتداءً عن تصلُّب العظم كما يُستدَلّ عليهِ من ان عظام الولد لينة قابلة الجبر اذا انكسرت وان عظام الشيخ قصِمة يكاد يستحيل جبرها . وقد اكَّد هذا الطبيب ان العظام لا تتصلَّب الى حد ان يفضي تصلبها الى الموت الا بين التسعين والمئة من العمر

وقد وضع العلامة الانكليزي الدكتور كِنَر المذكور قانوناً للتغذية نثبتهُ في هذا الموضع افادةً للقرآء . فهو يفضل طعام السمك ولحوم الطير والحملان والعجول على سائر انواع الطعام ويشير باكل الفاكهة لقلة المواد النيتروجينية فيها ولا سيما التفاح الكثير العصارة قبل تمام نضجهِ ولِما تشتمل عليهِ هذه الاغذية كلها من الحامض الفصفوريك الذي هو العنصر الاساسي المفيد . وفي رأيهِ ان سر اطالة الحياة كائنٌ في قدحٍ من المآء ينقَّط فيهِ نحو ١٠ نقط من الحامض الفصفوريك المخفف ويؤخذ مع كل وجبة من الطعام لان هذا الحامض هو اقوى المؤثرات المهمة في تأجيل الشيخوخة كما ثبت علمياً . وهو يوصي ان يكون مآء الشرب مقطَّراً للذين تجاوزوا النصف الاول من العمر لان المآء الاعتيادي يشتمل على المواد التي تزيد في تصلُّب العظام

وفي السنين العشر الاخيرة عني كثيرون من اهل الطب بتحليل الطعام واختبارهِ وتحقيق العناصر المفيدة فيهِ . ولا يخفى ان طرق اعداد الاطعمة وموادها تسهّل السبيل لغشّها ولذلك لا تكاد تعثر في هذه الايام على طعام لا غش فيهِ . وقد تولت حكومة واشنطون بنفسها كثيراً من الامتحانات العلمية لانواع الطعام علماً بما يترتب على ذلك من عموم المصلحة في اهمّ

شيء وهو الحالة الصحية التي هي ركن الحياة البشرية . وحبذا لو ان حكومتنا تنبهت لهذا الامر الخطير فانهُ اهمّ من هذا الطاعون الوهمي الذي ما برحت تنفق عليهِ عشرات الالوف من الذهب الوهّاج حالة كون الآفة التي نحن في صددها لا تكلفها اقل جزء من تلك النفقات

نقولا الحداد



خطبٌ جلَل

هوَى بالامس ركنٌ من اركان العلم وتقوّض صرحٌ من صروح الفضل فقد حملت الينا أنبآء الاسكندرية نعي العالم العامل والطبيب

النطاسيّ الدكتور بشارة زلزل الشهير الذي عرفتهُ الادبآء كاتباً بليغاً والعلمآء جهبذاً نحريراً والمحافل خطيباً مصدعاً وفقدت بهِ الأَعلآء طبيباً مؤاسياً والانسانية عضُداً متيناً والوطنية داعياً غيوراً

اجاب دعوة ربّهِ في العاشر من هذا الشهر عن اربع وخمسين سنة ترك فيها من محاسن الآثار ما اثبت اسمهُ في صحيفة الدهر بما سطّرت اقلامهُ من نواصع التحقيقات وبدائع النظم والنثر ولا سيما في مجلتي الطبيب والبيان اللتين كانت يدهُ فيهما مع يد كاتب هذه السطور فان لهُ في هاتين المجلتين الفصول الرائقة الشاهدة بطول باعهِ في صناعة القلم وغزارة مادّتهِ في العلم ودقّة افكارهِ في البحث. ولهُ عدا ذلك شيءٌ كثير في مجلة النحلة والصفآء والمقتطف وغيرها مما جلّى بهِ في حلبتي العلم والادب فضلاً عن كثيرٍ من الرسائل المحبَّرة والخُطَب المُجمَعة والقصائد الرنّانة مما طُبع اكثرهُ وتداولتهُ ايدي القرآء. وكان ختام عهدهِ تأليفهُ المشهور المسمى بتنوير الاذهان في علم طبائع الحيوان والانسان وكان قد شرع في نشرهِ العام الغابر فطبع منهُ اربعة اجزآء ثم قطعتهُ العلّة عن اتمام تمثيلهِ ووضعهِ بين ايدي المستفيدين فالامل معقود بالذين اؤتُمنوا على هذه الذخيرة من بعدهِ ان يُتمّوا ما بدأ بهِ ايثاراً للمطالعين بفوائدهِ وحرصاً على تخليد ما خطّ بنانهُ من الآثار الجليلة. والكتاب فريدٌ في بابهِ لم يُنسَج على منوالهِ في هذه اللغة لانهُ احاط فيهِ بمباحث المتأخرين من اصحاب هذا الفنّ مُسنَداً كل ما فيهِ الى الحقائق التي شهد بصحتها الاختبار العيانيّ وزاد على ذلك ما

اشتمل عليهِ من الفوائد اللغوية بتحقيقهِ اسمآء الحيوان من الدوابّ والطير والاسماك وغيرها مما جآء في كتب اللغة غير مشروح الماهية فعرّف مسمّياتها وردّ كل اسمٍ الى مسمّاهُ ولو بالقرينة الوضعية وما لم تعرفهُ العرب من انواع الحيوان ولم تضع لهُ اسماً وضع لهُ اسماً من عندهِ استنبطهُ من طريق المجاز او الاشتقاق على ما هي القاعدة في اصول علم الوضع وهي خدمةٌ للغة تنطق بفضلهِ ما نطق عربيٌّ بالضاد . وفي الكتاب خلا ذلك شيءٌ كثير من الفوائد التاريخية والمباحث الأخلاقية والاجتماعية مما يشهد بسعة علمهِ وغزارة فضلهِ ومما يجعل هذا الكتاب في مقدّمة الكتب التي ظهرت في عصرنا الحالي

فنحن نندب في هذا المقام عالماً كبيراً كان ركناً من اركان النهضة العلمية الحاضرة ونبكي صديقاً قديماً جمعتنا واياهُ وحدة الوطن والنشأة وضمّنا واياهُ عهد الصبآء ونرثي رصيفاً فاضلاً طالما رفدتنا اقلامهُ واستضأنا برأيهِ والله المسؤول ان يتولاهُ بفضلهِ واحسانهِ ويتغمد روحهُ الطيب برحمتهِ ورضوانهِ

فكاهات

الكولونيل جيرار (١)

— ١٠ —

انكم ترون على طرف ردآئي هذا قطعة من الحرير الملون وهي علامة وسام الشرف الذي نلتهُ . اما الوسام نفسهُ فمحفوظ في حقيبة من الجلد في منزلي لا اخرجهُ منها الا اذا زارني احد الضباط القدمآء او الغربآء الذين يأتون لتقديم احترامهم وتوقيرهم لجيرار الشهير ففي ذلك الحين اخرجهُ من مخبإه وأضعهُ على صدري ثم ارفع شاربيَّ كما كنت افعل في معركة مارنغو فيصل طرفاهما الابيضان الى صدغيَّ . غير انني مع كل ذلك اعتقد ان لا أولئك الزوار ولا انتم ايها الاصحاب تتحققون الحالة التي كنت فيها اذ ذاك لانكم لا تعرفونني الا بحالتي المدنية الحاضرة ويصعب عليكم جدًّا ان تتصوروني في الحالة العسكرية التي وقفت فيها في اول شهر يوليو سنة ١٨١٠ امام فندق مدينة آلامو في اسبانيا حين كنت في ابان مجدي لا يقف في وجهي خطر ولا يعترض طريقي بطل

اما سبب وجودي في ذلك الفندق فهو انني أُصبت في احدى تلك المعارك بطعنة رمح في عقب رجلي منعتني عن المسير وأجبرت على المقام هنالك الى ان اشفى. فقضيت اياماً في الآلام الجسدية والعقلية الى ان بزغ صباح يومٍ من ايام شهر يوليو فوجدت في نفسي قوةً فنهضت من سريري واتيت الى باب الفندق وانا لا اكاد اصدق انني تعافيت فسمعت ان فرقتي قد بلغت بستورس وهي بازآء الجيوش البريطانية. فدفعتني الحماسة الى اللحاق برجالي غير ان الضربة التي آذت رجلي كانت

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

قد اودت بحياة جوادي ايضاً ولدى السؤال اعلمني صاحب الفندق انهُ يستحيل وجود ركوبة تنقلني الى بستورس . وكان في الفندق قسيس من المسافرين فاكد لي باقسام متتابعة انني لو دفعت اموال فرنسا باسرها لما تمكنت من واسطة تنقلني الى فرقتي في تلك الليلة . واردف صاحب الفندق كلامهُ بقولهِ ان البراري الواقعة بيننا و بين فرقتي يكمن فيها الكوشيلو اللص الاسبانيولي الشهير برجالهِ فلا ينجو احد اذا ساقهُ سوء البخت لاجتياز تلك الطريق . اما انا فلم تهمني كل تلك المخاوف وكانت غايتي الوحيدة ان اجد جواداً يقلني الى بستورس مهما كلفني ذلك . وانني لكذلك واذا بفارس قد قدم حتى بلغ باب الفندق فوقف بفرسهِ فحييتهُ وعرَّفتهُ انني الكولونيل جيرار وان جرح رجلي قد حكم عليَّ بالتلبث في ذلك المكان . فنظر اليَّ متبسماً وقال وانا المسيو ڤيدال وذكر لي انهُ يقصد بستورس ايضاً ويتمنى لو تمكنت من مرافقتهِ لانهُ بلغهُ ان الطريق غير امينة . فقلت لهُ انني لسوء الحظ قد فقدت جوادي وعرضت عليهِ ان يبيعني جوادهُ اصل بهِ الى بستورس وانني حال وصولي ارسل اليهِ بعض الجنود يرافقونهُ حتى يبلغوهُ مأمنهُ فأبى . ولما رآني اهمّ بالوثوب عليهِ لآخذ الجواد منهُ قهراً أعمل في خاصرتي جوادهِ المهماز وغاب عني في سحابة من الغبار . فقال لي القسيس اذا كان غرضك الوصول الى بستورس فلن ترى مساعداً لك سواي لانني انا ايضاً راحل الي الجهة الجنوبية . فشكرتهُ على ذلك شكراً جزيلاً وللحال نهض فسار امامي الى القرية وانا اتبعهُ فبلغنا نزلاً رأينا أمام بابهِ عربةً محطمة والى جانبها ثلاثة بغال مهزولة . فاستدعينا صاحب النزل وطلبنا منهُ ان يشد البغال الى العربة وينقلنا الى بستورس فأبى خوفاً من الكوشيلو مؤكداً لنا اننا نصبح جميعاً فريسة لذلك الغادر اذا صممنا على السفر في تلك الليلة . ولم اكن ليثنيني عن عزمي مثل هذا الوعيد فجعلت أتوسل اليهِ وأعدهُ بالعطآء الوافر اذا امتثل والقسيس يتهددهُ بالهلاك والحرمان اذا أبى حتى قبل الرجل واسرع في العمل قائلاً اذا لم يكن بدٌّ من ذلك فيجب ان نجتاز الغابة المخيفة قبل حلول الظلام . وعدنا الى الفندق لاخذ أمتعتنا ولتوديع ابنة صاحبهِ التي كنت قد احببتها فلما قبّلتها

رأيت علامة الاشمئزاز على وجه القسيس غير انهُ ما ابتدأنا في سفرنا حتى ابرقت اسرتهُ وجعل يحادثني فقال انهُ قادم من شمالي اسبانيا وذاهب لزيارة والدتهِ في استرامادورا ثم جعل يقص عليَّ محبتهُ لها وكم يكون سرورها بلقياهُ بعد غيابهِ الطويل حتى ذكرني بوالدتي وأسال دموعي . وكان يريني الهدايا الصغيرة التي اخذها ليوزعها على الاولاد الذين سيأتون لمقابلتهِ . ثم انتقل بحديثهِ الى سير الجنود وملابسهم فجعل يفحص ثوبي وسيفي فامتشقهُ وأخذت انا أقص عليهِ ما فعلت بذلك الحسام وكم روَّيتهُ بالدمآء . فاكفهرَّ وجههُ وقال ان هذا الحديث يؤلمني حتى ان منظر سيفك يزعجني فاسمح لي أن احجبهُ عن نظري ولما قال ذلك اخفاهُ تحت مقعد العربة . وبعد قليل قرع آذاننا صوت دويّ المدافع فعلمت انها من جنود مسينا الذي كان يحاصر رودريكو وكنت احب مسينا لشجاعتهِ مع انهُ اسرائيلي واعتقد انهُ لم يقم في الاسرائيليين قائدٌ بعد يشوع بن نون مثلهُ فلم اتمالك ان صحت باعلى صوتي ليحيَ مسينا وجعلت اتغنى بالاناشيد الحماسية كانني من تلامذة مدرسة سانت سير . وكانت المركبة تخترق بنا الشعاب الصعبة والممرات الضيقة المقفرة وكان القسيس في اثنآء ذلك قد اخرج من جيبهِ مثقباً وجعل يعالج بهِ الرباط الجلدي المعلقة بهِ قربة المآء . فلما ساد السكوت انطرحت الى جانب العربة وسارت بي افكاري الى المعارك التي خضت غمارها والسيدات اللواتي عرفتهنَّ واذا بالقربة قد سقطت من يد القسيس الى اسفل العربة واندفق المآء منها . فاسرعت وانحنيت لالتقاطها فلم يكن من القسيس الا ان اغتنم تلك الفرصة وفي اسرع من لمح البصر وثب على ظهري وغرز المثقب في عيني

لا أخالكم تجهلون ايها الاصدقآء انني رجلٌ من حديد وقد خلقت لاقتحام الاخطار وانني منذ دخلت الخدمة في زوريخ الى ان بلغت معركة واترلو لم أعرف للخوف معنًى ولا للخطر اسماً ولكنني لا انكر ان ما حصل لي حينئذٍ أطار رشدي وهلع قلبي . وأعارني الالم قوة غريبة فأمسكت ذلك اللعين بيديَّ ورفعتهُ وضربت بهِ ارض المركبة ثم جثوت على صدرهِ فأخذ من تحت ردآئهِ غدارة فرفستها برجلي

فطارت من يدهِ ورفعت المقعد لآخذ سيفي واسمّرهُ بهِ الى الخشب واذا بالمركبة قد مالت الى جانبها فسقطت بنا وفُتح بابها فشعرت بأيدٍ حديدية قد أمسكت قدميَّ وجرتني الى الخارج . وسقطت قبعتي على عيني السليمة فغطتها وبقيت الاخرى فسررت جدًّا لانني رأيت بها كل شيءٍ بوضوح وعلمت انني لم أفقد بصري لان الثقب كان قد دخل كما ترون اثرهُ بين الحدقة وعظم الانف . وكان الخبيث قد صمم ان يدخلهُ في عيني الى الدماغ فسآء فألهُ ولكنهُ تمكن من أذيتي بهذا الجرح الذي آلمني اكثر من كل الجراح الخطرة التي أصابتني في حياتي . قلت انني رأيت فهل تعلمون ماذا رأيت . ثلاثين رجلاً من زمرة الكوشيلو وجميعهم مدججون بالسلاح وعلى وجوههم لوائح السرور لحصولهم عليَّ . فلما صرت امامهم جعلوا يرفسونني ويلكمونني ويشتمونني أما أنا فبقيت صامتاً انظر الى وجوههم الشرسة واحفظ هيئاتهم في ذاكرتي فظنوني ميتاً . وعلمت انهم كانوا ينتظرونني وان القسيس لم يكن الاّ رسولهم وانهم وضعوا في طريق المركبة صخراً كبيراً ليعثرها فتسقط وكان القسيس يعلم المكان الذي تواعدوا اليهِ ففعل ما فعل . وأخرجهُ بعضهم من المركبة فوجدت انني لم اقصر في جزآئهِ لانني لما جلدت بهِ الارض كنت على ما يظهر قدكسرت شيئاً في سلسلتهِ الفقارية فلم يعد يستطيع القيام . ولما رأيت ساقيهِ متدليتين وهو محمول بين اثنين من أولئك اللصوص لم أتمالك عن الضحك فانتبهوا اليَّ وأنهضوني وساقوني امامهم الى قمة الجبل وكانوا يتبعونني جميعهم والقسيس المحمول على اكتاف رفاقهِ لا يكل عن الشتم والسب . ولم نزل في سيرنا نحو ساعة وأنا متألم من جرح عيني ورجلي التي لم تكن قد شفيت تماماً بعد . وبلغنا غابة كثيفة دخلناها فوصلنا الى بقعةٍ جردآء في وسطها رأيت فيها جواداً مربوطاً الى شجرةٍ فعرفتهُ للحال انهُ جواد فيدال الذي فرَّ مني في الفندق وعلمت ان صاحبهُ قدسقط في أيدي أولئك الانذال وأن فرنسويًّا آخر في ذلك الخطر نظيري . ثم رأيت شرذمة أخرى من أولئك اللصوص القتلة قد خرجت من بين الاشجار فقابلتنا ولما رأوا القسيس وما وقع لهُ أبدوا أسفهم الشديد وجعلوا يلاطفونهُ ويجاملونهُ ثم نظروا

اليَّ وقد استلوا خناجرهم فعلمت أن آخرتي قد دنت . وبعد أن مشينا قليلاً وصلنا الى مغارةٍ على بابها مشعلٌ متقد وفي صدرها رجل قبيح المنظر شرس الهيئة عرفتهُ من احترام القوم لهُ انهُ رئيسهم الشهير الكوشيلو. وأجلسوا القسيس على برميل فارغ فتدلت ساقاهُ وهو ينظر اليَّ بعينين يتقد فيهما السم ثم دار بينهُ وبين الرئيس حديث علمت منهُ ان القسيس عميل لهم ينصب الاشراك بلسانهِ الذلق فندمت لانني لم أجهز عليهِ وأخلص الناس من شرهِ . اما الرئيس فلم يكن عليهِ شيء من السلاح وكانت أمامهُ مائدة عليها بعض الكتب وكثير من الاوراق المبعثرة . ولما دخلنا كان يكتب فتوقف ريثما سمع تفاصيل الحادثة ثم أمر الجميع بالخروج ونقل القسيس للمعالجة فبقيت وحدي امامهُ واثنان يحرسانني عن جانبيَّ . واذ ذاك أخذ الرئيس قلمهُ وجعل ينقر بهِ على جبهتهِ ثم ينظر الى جدران المغارة فعلمت انهُ ينظم شعراً . ثم نظر اليَّ وقال هل تعرف قافيةً توافق لفظة « كوفيليا » فتبسمت وقلت كلا ولا أظنك تجدها لان اللغة الاسبانيولية ضيقة جدًّا . فقال لا تقل ذلك فانها من اللغات الواسعة غير انها فقيرة في الكلمات التي تصلح للقوافي ولذلك نضطر ان ننظم اشعارنا غير مقفاة . ثم عاد الى الكتابة ورأيت في وجههِ علامة الرضى فرمى بالقلم وقرأ ما كتبهُ على حارسيَّ فسرَّا جدًّا ثم قال لي انني انظم أغاني نترنم بها في ليالينا للتسلية . والآن فلنعد الى عملنا فهل لك ان تعرّفني بنفسك . قلت أنا اتيان جيرار كولونيل في فرقة الهوسار الثالثة . قل ولكنك اصغر سنًّا من أن ترقى الى هذه الرتبة . قلت اني قد نلتها بجدي بعد ما اقتحمتهُ من الاخطار . ولما قلت ذلك نصبت قامتي امامهُ لاريهُ اني لا اهاب الموت ولا يهمني انفرادي بين جمهورهم . اما هو فصمت لحظة ثم قال يغلب على ظني اننا رأينا بعض رجال فرقتكم قبل الآن وبما اننا ندون جميع ما يقع لنا فيمكنني ان اذكر لك بعضهم . ثم تناول كتاباً فتحهُ وقال في الرابع والعشرين من شهر يونيو اتانا ضابطٌ من فرقتكم يدعى سوبيرون فدفنّاهُ . قلت انني اعرف هذا المسكين جيداً فما هو سبب موتهِ . قال قلت لك اننا دفناهُ . قلت فهمت ذلك ولكن كيف مات قبل ان تدفنوهُ . فقهقه حتى بانت

نواجذهُ وقال ألم اقل لك اننا دفناهُ فانهُ لم يمت قبل ذلك بل بقي حيًّا الى ان دُفن فلما غطاهُ التراب على عمق ثلاثة امتار لا بد ان يكون قد مات بعد ذلك . فعلمت اذ ذاك انهم دفنوهُ حيًّا وشعرت بارتعاشٍ في جسمي ثم صعد الدم في رأسي فوثبت اليهِ وقد صممت ان امزق وجههُ باظفاري فامسكني الحارسان وجاهدت معهما مدةً فتغلبا عليَّ واوثقا يديَّ ورجليَّ فافقداني الحراك ولكنهما لم يستطيعا تقييد لساني . فقلت لهُ تبًّا لك من نذلٍ لئيم وانني لأودّ لو كنت طليقاً وحسامي بيدي لاريك كيف تكون الرجال واجازيك على قتلك بعض رجالي . ولكن اعلم يا هذا انك ولو اختفيت في هذا المكمن المنيع كالجرذ في وكرهِ فلا بد من يوم تصل فيهِ اليك ذراع امبراطورنا فيطهر هذه البقعة من شرّك وشرّ عصابتك الدنيئة . فلم يؤثر فيهِ كلامي كانهُ لم يسمعهُ لانهُ اخذ القلم وعاد الى التفكر كانهُ ينظم شيئاً جديداً . وسآءني عدم اكتراثهِ فقلت لهُ أجَلْ ولو أُتيح لي ان ابارزك لاعلمتك انك اسقط منزلةً من هذه الابيات السفيهة التافهة التي تنظمها . فلما سمع تعريضي بنظمهِ ظهرت على وجههِ امارات الغيظ فوثب عن كرسيهِ كمن لدغتهُ افعى وقال كفى يا كولونيل قد قلت لي انك لا تعبأ بالمخاطر فاستعدّ لميتةٍ ترتعد لها فرائصك وتعلمك كيف يكون الخوف . قلت حبذا الموت بشرط ان لا تدونهُ في كتابك نظماً. وكأن قد اشار الى حارسيَّ فجذباني الى خارج المغارة وسارا بي الى حيث يعسكر رفاقهما فالقياني بجانب جذع شجرة وجلسا بالقرب مني يدخنان وكانت الظلمة حالكة وقد اوقد كثيرون منهم ناراً في جهات مختلفة لطبخ طعامهم فكان منظر النار وما حولها من الرجال والاشجار مما يرتاح اليه اعظم مصور فنسيت ما انا فيهِ وجعلت اسرح الطرف في تلك البقعة . ثم انتبهت الى نفسي فوجدت ان جميع المخاطر التي نجوت منها ليست شيئاً بالنسبة الى ما كنت فيهِ في تلك الساعة فقلت تشجع يا جيرار فانك لم تصر كولونيلاً لمجرد ظرفك وحسن هيئتك بل لانك تعرف ان تحتقر الخوف ولا تعبأ بالخطر . واذ ذاك جعلت اجول بنظري لعلي ارى منفذاً او واسطة اتمكن بها من النجاة واذا بمشهد ملأني رعباً واستغراباً فانني رأيت على مقربةٍ مني شجرة

طويلة محنية حتى كادت تبلغ الارض ورأيت في احد اغصانها حذآء عسكرياً مثبتاً بالمسامير وفي الحذآء بقية ساقي فيدال الذي كنت قد وجدت جواده كما اسلفت ورأيت على الارض بقية النار الخامدة فعلمت انهم اماتوهُ حرقاً ووددت ان يكون قد قابل حمامهُ بالشجاعة المعهودة في الدم الفرنسوي . ثم رجعت الى نفسي وتذكرت ما قلتهُ للرئيس فندمت على عدم تلطفي معهُ في الكلام غير ان السيف قد سبق العذل وقضي عليَّ ان اتجرع الكأس التي سكبتها بيدي واحببت ان يكون بالقرب منا من يشاهد موتي ويخبر فرقتي كيف لقي كولونيلهم حتفهُ بالشجاعة الفرنسوية

ولما كان من واجبات الانسان ان لا ييأس بقيت أعلل نفسي بالنجاة وذكرت جواد فيدال فقلت لو تمكنت من حلّ قيود رجليَّ لوثبت الى صهوتهِ واندفعت بحيث لا يستطيعون اللحاق بي . وبينما أنا عرضة لهذه التأملات وقد أخذت أعالج قيودي رأيت الرئيس قد خرج من مغارتهِ فاقترب من الرجال وكلمهم همساً فحنوا رؤوسهم علامة الطاعة وهم ينظرون اليَّ . وأسرع احدهم فتسلق شجرة طويلة وربط في أعلاها حبلاً ثم فعل مثل ذلك في شجرة مقابلة ولما انتهى اسرع الجميع الى الحبل الواحد فشدوهُ حتى انحنت الشجرة بنصف دائرة وربطوا طرف الحبل بشجرة أخرى بين الاثنتين ثم حنوا الشجرة الثانية وربطوها كالاولى وأنا أعجب من فعلهم ولا أدري المراد من ذلك الى ان اقترب الرئيس مني وقال قد أخبرتنا انك قويّ يا حضرة الكولونيل جيرار . قلت لا أسهل من اعطائك البرهان على ذلك اذا فككت قيودي وارجعت لي حسامي . قال كلا بل عندنا برهان أفضل نمتحن بهِ قوتك فسنربط ساقك الواحدة باحد هذين الحبلين والساق الاخرى بالحبل الثاني ثم نتركهما لتعود الشجرتان الى اصلهما فاما أن تكون اقوى منهما فتبقيهما محنيتين أو ان تكونا أقوى منك فتقسمانك قطعتين. ثم اتبع كلامهُ بضحكٍ عالٍ شاركهُ فيهِ جميع الرجال وقد تألبوا حولي فرأيت وجوههم الجهنمية وشعرت بقشعريرة استولت على جسمي واقترب بعضهم ففك قيد رجليَّ وأُخذت الى محل الاعدام . ولا اظنكم جربتم حالةً مثل هذه يداهمكم فيها الخطر الشديد فان حواس الانسان

تتنبه تنبهاً شديداً جدًّا و بذلك امكنني سماع وقع حوافر جياد وقعقعة سيوف على مسافةٍ منا فعلمت أن فرقةً من الفرسان تمر في تلك الناحية وتخيل لي انها بعض فرسان فرقتي آتين لانقاذ كولونيلهم فصحت بأعلى صوتي اليّ يا أولادي الاعزآء اليّ اليّ . وسمع اللصوص مني ذلك فهجموا عليّ ليسكتوني فكنت ازداد صراخاً حتى برز بالقرب منا فارس ثم تبعهُ اربعة آخرون عرفتهم للحال انهم من فرسان الانكليز وقرأت في وجوههم البسالة وعزة النفس ولا سيما أولهم وهو في مقتبل الشباب فقال باللغة الفرنسوية من الذي يستغيث . اما أنا فملأني الفرح أملاً والامل قوةً فدفعت الرجلين اللذين على جانبيَّ ووثبت وثبتين الاولى الى حيث كان حسامي ملقًى على الارض فالتقطتهُ والثانية الى ظهر جواد ڤيدال وفعلت ذلك بمنتهى السرعة والرشاقة . ثم اقتربت من الفرسان وقلت لرئيسهم بالانكليزية انني استسلم لكم يا سيدي وارجو منكم مساعدتي للخلاص من هؤلآء القتلة . ثم أشرت الى حيث لايزال هيكل ڤيدال المحرّق وقلت اذا كنتم في شك من اعمالهم فها كم شاهداً على على ما يصنعونهُ بكرام الناس الذين يسوقهم نكد الطالع الى المرور بقربهم . فصاح الفرسان صياح الحنق واستلوا سيوفهم متهددين اللصوص واقترب ضابطهم مني فضرب كتفي بيدهِ وقال دافع عن نفسك يا هذا . ولم اكن احتاج الى مثل هذا التحريض بعد ان شعرت بظهر الجواد بين ساقيَّ وحسامي في يدي فرفعتهُ فوق راسي وجعلت أصيح صياح الفرح . أما رئيس اللصوص فاقترب بتبسم من الضابط وقال لهُ لا يغرب عنك يا سيدي الضابط ان هذا الفرنسوي اسيرنا . فقال الضابط هذا كلامٌ لا اسمعهُ فانكم قومٌ اوغاد سفلة وأعدٌ من العار على الامة الانكليزية أن تحالف دولة فيها مثلكم . فقال اللص هذا بحثٌ آخر واما الآن فانني اطلب منك اسيري . فقال الضابط كلا بل هو سيعود معنا . ولما سمع اللص ذلك رفع غدارتهُ فأطلقها في وجهي فمرت رصاصتها في قبعتي بجانب شعري فلم اطق صبراً واقتربت منهُ فضربتهُ بسيفي على كتفهِ فكادت الضربة تفصل رأسهُ عن جسدهِ لو لم يكن بعيداً عني قليلاً غير انهُ سقط الى الارض يختبط بدمهِ . ولما رأى رفاقهُ ما كان هجموا علينا

هجمة واحدة فأمرنا الضابط بالهرب وكدت أعصيهِ لو لم أرَ عدم نفع المقاومة بعددنا القليل فاطلقنا لجيادنا الاعنة وكانت رصاصات اللصوص وحرابهم تسوقنا حتى ابتعدنا الى السهل الواسع . ولما تحققنا اننا قد نجونا من شرهم وقفنا للاستراحة وكان بعضنا قد أصيب بجراح خفيفة فأمر الضابط ثلاثة من رجالهِ ان ينفصلوا عنا و يسيروا في جهة أخرى للاستكشاف ثم سار بجانبي وعلى بعد بعض خطوات ورآءنا الجندي الباقي من رجالهِ . وكانت قد تمكنت عرى المحبة بيني و بين الضابط من اول نظرة رأيتهُ كما هو شأن الفرسان الاقوياء الذين يميل بعضهم الى بعض فجعلنا نتحادث وعلمت انهُ من اشراف الانكليز انخرط في الخدمة وانهُ مرسل من قبل الجنرال ولنتون للاستكشاف والاستطلاع على الجيش الفرنسوي وكان يدعى البارون السير رَسِل . وجعلنا نسير في نور القمر فظهر لي من حديثهِ انهُ مثلي يسعى ورآء الشهرة وخدمة الدولة . ثم اتصل حديثنا بالغرام فجعل يريني تذكارات محبتهِ من خصل شعر وخواتم وأريهِ مثلها من شرائط حريرية ومناديل . ثم انتقل الى ذكر الالعاب والمراهنة فوجدتهُ مشغوفاً بالمقامرة فلم يعد يكلمني كلمة الاّ ويقول لي هل تراهن على ذلك . فافهمتهُ ان كيس نقودي لا يزال في أيدي اللصوص فأظهر علامة الضجر وسكت . ولبثنا متابعين السير الى أن بزغ نور النهار فوجدت ان الجندي الذي كان يتبعنا قد سبقناهُ جدًّا بحيث لم نعد نراهُ وبقينا وحدنا . ثم رأيت على بعد نحو ميل امامنا المعسكر الانكليزي فوقفت هنيهةً افكر فيما أصنعهُ وهل من الواجب ان أصل الى ذلك المعسكر . ورأى توقفي فقال ما بالك ايها الصديق . قلت أظنني اكتفيت من مرافقتك فدعني أسير في سبيلي. قال وهل نسيت انك اسيري ويجب أن تصل معي الى معسكرنا. قلت لم اكن اسيرك قط ولم أعدك بالذهاب الى معسكرك وهانحن وحدنا هنا فكما تعتبرني اسيرك اعتبرك اسيري ومع ذلك فانا اطلق لك الحرية ان تذهب حيث شئت بشرط ان تطلق لي حريتي . فلم يكن جوابهُ الا ان استل حسامهُ وهجم عليَّ قائلاً لا ادعك تذهب حيًّا . فاخذت حسامي بيدي ضاحكاً وقلت لهُ ان شئت التجربة فلا بأس ولكنني انصح لك ان لا تجرب نفسك مع

بطل كتائب الفرسان الفرنسوية . فلم يعبأ بكلامي بل ضربني ضربةً استقبلتها بقفا سيفي ثم ضربتهُ مداعباً فقطعت الريشة التي على خوذتهِ. فساءهُ ذلك وهجم عليَّ مصوّباً ضربةً اشدّ فرددتها عني وقطعت لهُ زرّين من صدرهِ . فادرك انني اداعبهُ كما تداعب المرضع ولدها فكفَّ وقال قد عرفتك يا هذا ولكن لا بد من ذهابك معي الى المعسكر. قلت هذا مستحيل . قال وانا اراهنك انهُ غير مستحيل . وللحال خطر لي فكر الرهان فقلت لهُ تعالَ اذاً وليحكم بيننا الزهر فنتقامر على ان اكون اسيرك او اكون حرًّا . قال حسنٌ جدًّا فهل معك زهر قلت لا. قال ولا انا غير ان في جيبي دستة من ورق اللعب فهلمَّ نلعب بالايكرتيه والذي يغلب الثالثة يكون مطلق التصرف . قلت لا افضل من ذلك وكنت قد استبشرت بالفوز عليهِ لانهُ لم يكن في فرنسا من يقدر ان يغلبني في هذه اللعبة

ووجدنا صخراً مسطحاً فربطنا جيادنا الى جانبهِ وجلسنا فابتدأنا في اللعب وأغراهُ شيطان المقامرة فود ان يزيد مئة قطعة ذهبية الى رهاننا . اما انا فلم يعد يهمني شيء من غنى العالم لانني كنت العب وامامي سلامة الكولونيل جيرار وسلامة الدتي وفرقتي والجيش وناي ومسينا والامبراطور وقد تصورتهم جميعاً حولي . فلما انتهى الدور الاول كنت انا الغالب ولا انكر ان البخت ساعدني اما الدور الثاني فكان هو الرابح فيهِ فصاح انني اراهنك على جوادي ايضاً قلت وجوادي بازآئهِ. قال وسيفي قلت وسيفي ايضاً . قال وكل ما عليَّ قلت وما عليَّ كذلك . وكان قد نفث في صدري ابليس القمار مثلهُ حتى لقد كنت قامرت على فرقة الهوسار بازآء فرقة فرسانهِ لو كانت الفرقتان تحت تصرفنا

وابتدأنا بالدور الثالث فكنت اود ان اكون على مرأى من جمهور عظيم ليروا كيف كنت العب بمنتهى الدُربة والاحتراس وانا اظهر عدم المبالاة . فربحت في اول وهلة ثلاثة بنوط ورأيتهُ يعضّ شاربيه فايقنت انني سأبلغ فرقتي سالماً . وفي الدورة الثانية اخذ بنطين واخذت واحداً فصار هناك اربعة لاثنين . ولما اخذنا ورق الدورة الثالثة لم اتمالك ان صحت صياح الفرح وقلت في نفسي ان انا لم اربح الآن فلا

استحق الحرية ويجب ان اموت مقيداً بالسلاسل . وكان عليهِ ان يبدأ باللعب فاذا استطعت ان ارمي ورقاً اقوى منهُ تحققت فوزي . ورأيت العرق يتصبب من جبهتهِ ولا انكر ان يدي ايضاً كانت ترتعش . ولم اصدق ان رمى ورقة فكان بيدي اقوى منها ففتحت فمي لاعلن لهُ فوزي ولكنني شعرت بجمود عند ما رأيتهُ اخذ ورقهُ بيد واحدة وقد سقط فكهُ الاسفل وظهرت على وجههِ علامات الرعب الشديد وقد شخصت عيناهُ الى ورآئي . فلتفتُّ واذا ثلاثة فرسان من ضباط الجيش الانكليزي ووراءهم ثلاثة فرسان آخرين من اتباعهم وكان احدهم في الوسط طويل القامة رقيق الجسم ملتفّاً بردآء اسود وعلى رأسهِ ريشة بيضآء وهو شاحب الوجه اقنى الانف وعيونهُ زرقآء وعلى شفتيهِ شبه تبسم مخيف يعلم الناظر اليهِ لاول وهلة انهُ من الرجال الذين ولدوا للقيادة فعرفتهُ للحال انهُ الجنرال ولنتون . وكان محدّقاً ببصرهِ الى رفيقي السير رسل الذي كانت اوراق اللعب تتساقط من يدهِ واحدة واحدة . ثم قال ولنتون لاحد رفيقيهِ ما رأيك في هذا يا كروفورد . وقبل ان يجيبهُ نهض رفيقي وقد حنى رأسهُ فقص حكايتهُ من اولها ولما انتهى قال ولنتون انني اهنئك يا كروفورد على هذا النظام البديع . ثم نظر الى رسل وقال اما انت فاذهب الى المعسكر واجعل نفسك سجيناً الى ان تبلغك اوامري . ولم اطق لرفيقي مثل هذه الاهانة فنهضت وتوسلت الى الجنرال ان يعفو عنهُ واخبرتهُ بما كان وما اظهرهُ رسل من البسالة فلم يكن جوابهُ الا ان نظر الى الجنود بمنتهى البرودة وقال لهم وقد اشار اليَّ احفظوا هذا الاسير وقدموهُ اليَّ في المعسكر . فلما سمعت ذلك كدت افقد رشدي لانني كنت اعتبر نفسي حرًّا وقد اشتريت حريتي من الضابط بلعب الورق فوثبت الى امام الجنرال والورق بيدي وقلت لهُ انظر يا مولاي انني قد راهنت على حريتي وقد ربحت كما ترى . فتبسم وقال كلا بل انا الرابح لانك انت في يدي . واذ ذاك ساقوني الى المعسكر فلبثت اسيراً في ايديهم الى ان تيسرت لي اسباب النجاة مما سأقصّهُ عليكم في حديث آخر